



# The marginalized in the poetry of Obeid ibn Ayoub al – Anbari

L.Dr. Jumana Mohammed Nayef Al Dulaimi  
Department of Economic and Social Studies / Center  
for Regional Studies / University of Mosul  
Email: [mjumana99@gmail.com](mailto:mjumana99@gmail.com)  
Mobile: 07724558873

## Abstract

Studying the hair of the thorns has a special advantage, as it foreshadows a lost identity, a life of homelessness, a faded affiliation, and the expression of these losses, which is declared by the tassel or hinted at in most of his hair. Most of what we receive present and strongly in the hair of the tresses is the struggle of exclusion and marginalization, in its various forms and forms, similar and different, their vision of life in all its details is determined by their own perspective, and stems from the reality of ostracism they suffer, and all the surrounding circumstances. The study of the marginalized in the poetry of Obeid ibn Ayyub al-Ansari reflects the state of fear and panic experienced by this poet after the waste of his blood by the governor, and his escape from the tribe after that, and displaced in the desert, was fear of two dimensions human dimension of fear of being captured and killed, and the other dimension My soul is embodied in loneliness and fear of the desert desert and its monsters and darkness.

**Keywords:** Obeid ibn Ayoub al – Anbari. Marginalized. the fear. ghou. the other.

## المهمش في شعر عبيد بن أيوب العنبري

م.د. جمانة محمد نايف الدليمي  
قسم السياسات العامة / مركز الدراسات  
الإقليمية / جامعة الموصل

### خلاصة البحث

ان دراسة شعر الصعاليك له ميزة خاصة اذ انه يبني عن هوية مفقودة، و حياة تشرد، وانتماء متلاش، والتعبير عن هذه المفقودات يصرح بها الصعلوك او يلمح لها في غالب شعره.

ان جل ما نلقيه حاضرا وبقوة في شعر الصعاليك هو صراع النبذ والتهميش، بأشكاله وصوره المتنوعة، المتشابهة والمختلفة، فرؤيتهم للحياة بكل تفاصيلها تتحدد بمنظورهم الخاص، وتتطلق من واقع النبذ الذي يعانونه، وكل ما يحيط به من ملابس.

ان دراسة المهمش في شعر عبيد بن أيوب الانصاري يعكس حالة الخوف والهلع التي عاشها هذا الشاعر بعد هدر دمه من قبل الوالي، وهروبه من القبيلة على إثر ذلك، وتشرده في الصحراء، فكان الخوف من بعدين البعد الإنساني المتمثل بخوفه من الإمساك به وقتله، والبعد الآخر نفسي يتجسد في الوحدة والخوف من مجاهيل الصحراء ووحوشها وظلامها.

الكلمات المفتاحية: عبيد بن أيوب العنبري، المهمش، الخوف، الغول، الآخر.

## المقدمة :

من المسلم ان المكان والانسان تربطهما علاقة تفاعلية متبادلة، فكل منهما يترك اثرا في الآخر، ولطالما سعى الانسان الى إيجاد رقة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن المكان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة يرى فيها (الانا) صورته، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءا مهما في بناء الشخصية البشرية (قل لي اين تحيا اقل لك من انت) فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها وتسقط على المكان قيمتها الحضارية" (لوتمان، ١٩٨٦، صفحة ٨٣). فالمكان حياة لا يمكن تلخيصها بالمساحة على الأرض انما هو اشتمال بمعنى " تغطية وستر من ناحية، ومخالطة واندماج من ناحية اخرى" (مؤنسي، ٢٠٠١، صفحة ١٦).

ان للمكان حضورا خاصا عند الشعراء الصعاليك، فإحساسهم بالمكان مختلف تحكمه معاناتهم من الاقصاء والنذب، وما يعيشونه من غربة ذاتية ومكانية تجسدت في ذواتهم وانعكست على كلماتهم وأشعارهم، باعثة الإحساس بالعبثية والقلق والمرارة.

ان اول ما نجده غائبا في شعر الصعاليك هو الوقوف على الطلل، وهذا الغياب يمكن تفسيره بفقدانهم دفء المكان وامنه واستقراره، فلا اطلال ولا ملجأ امن ولا منزل يريحون فيه بعد نصب وتعب وعناء النهار، فقد ترك افتقاد الانتماء المكاني عند الشعراء الصعاليك فجوة عميقة داخل ذواتهم، ويكاد يكون الشعور بعدم الاستقرار مسيطرا عليهم، وعمدوا الى تجسيد ذلك من خلال اشعارهم.

وقد ظهر الفقد المكاني بشكل واضح في شعر عبيد بن أيوب العنبري في أكثر من قصيدة، يقول (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٣٣):

كان بـلاد الله وهي عريضة على الخائف المطرود كفة هابل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على امام المرسلين، وخاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) واله الطيبين، واصحابه الغر الميامين. وبعد:

ان دراسة شعر الصعاليك له ميزة خاصة اذ انه ينبيء عن هوية مفقودة، وحياة تشرد، وانتماء متلاش، والتعبير عن هذه المفقودات يصرح بها الصعلوك او يلمح لها في غالب شعره.

ان جل ما نلفيه حاضرا وبقوة في شعر الصعاليك هو صراع النذب والتهميش، بأشكاله وصوره المتنوعة، المتشابهة والمختلفة، فرؤيتهم للحياة بكل تفاصيلها تتحدد بمنظورهم الخاص، وتنطلق من واقع النذب الذي يعانونه، وكل ما يحيط به من ملابسات.

ان دراسة المهمش في شعر عبيد بن أيوب الانصاري ترصد شكلا من اشكال رد الفعل الإيجابي على حالة الخوف والهلع التي عاشها هذا الشاعر بعد هدر دمه من قبل الوالي، وهروبه من القبيلة على إثر ذلك، وتشرده في الصحراء، فكان الخوف من بعدين البعد الإنساني المتمثل بخوفه من الإمساك به وقتله، والبعد الآخر نفسي يتجسد في الوحدة والخوف من مجاهيل الصحراء ووحوشها وظلامها. فقرر التغلب على هذا الشعور من خلال تهميش مخاوفه وعدم الانقياد لتأثيراتها السلبية.

قسم البحث على مبحثين سلط المبحث الأول الضوء على التهميش المكاني وركزنا فيه على المكان وكل تفاصيله من وحشة ووحدة وما يكتنفه من مجاهيل ووحوش ذكرها الشاعر تارة بالتصريح وتارة بالتلميح وأخرى بالتهميش الذي يعكس اندماجه الحقيقي او المزيف معها. وخصص المبحث الثاني لتهميش (الآخر) وما ينطوي عليه هذا التهميش من تغير في مفهوم الانتماء والقوة والصحة والأمان.

أولاً: مخاوف المجهول المكاني:

يؤتي اليه ان كل ثنية تطلعها ترمى اليه بماتل

يجسد شاعرنا حقيقة الخوف الذي يتمكن من المطارد وما يحدث من اضطراب في دواخله، اذ تظهر هذه الابيات حقيقة القلق النفسي الذي يعانيه جراء نبذه وحيدا مطاردا في الصحراء الواسعة يجابه مجاهليها، ذلك " ان ارتحال الشاعر في الصحراء هو بمثابة ارتحال في فضاء المجهول الذي تتمثل ابعاده في اوديتها، وفلواتها التي تشكو الجذب والجفاف وما تخبئه من وحوش وضواري وأفاعي وقطاع طرق، فضلا عن احتمالات تعرضه للتيه والضياح، تثير هذه الاخطار هواجس متنوعة عند الانسان " (الزبيدي، ٢٠١٣، صفحة ١٢). وفي ذات الوقت يجابه افتقاد الامن المكاني ذلك انه لا يجد ملجأ يحميه ممن يطاردونه وقد اثار هذا الاحساس سلسلة من الصراعات داخله، وقد يكون مبالغا في وصفها وهذا ما جعله "يعيش حياة قلقة غير مستقرة بعيدا عن محيط الناس الطبيعيين، وقد أدى هذا السلوك الى اختلاف نظرتة الى كل شيء، وتجدد رؤياه من خلال الشك المتمكن والريبة الثابتة في نفسه، فالخير اصبح خديعة ملفة والشر اصبح حقيقة واقعة، وهذا الشك الدائم جعله يشمر للهرب ويستعد للخلاص، فالشر سوف لن يتعداه لان القلق تمكن من نفسه وصار ملازما له، ولا يعمل الا في حدود تصوره المقيت، وهو اطار قاتل وحدود ضيقة تفرض على صاحبها افقا مظلما، وترسم له ابعادا حادة مؤذية" (دوابشة، صفحة ٢٩).

ان الفضاء الصحراوي هذا الفضاء الواسع اللامحدود المترامي الأطراف حين يصفه الشاعر بالضيق يدفعنا الى الاعتقاد بوصفه اسقاطا سلبي على المكان، يفسره الضيق الموجود داخل نفس الشاعر، وبالتالي يضيق مجال الرؤية الى الحد الذي يوحى بالانقباض، فيتبدد كل ما يمكن ان يوحى بشيء من الاتساع والرحابة، وهذا الإحساس يفتح افقا للصراع بين الذات الإنسانية والمكان بكل ما فيه. فقد استبد الإحساس بالضياح بذاته حتى كتب الى الحجاج قائلا (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٣٢):

اذني طعم الامن او سل حقيقة علي فان قامت ففضل بناينا  
خلعت فؤادي فاستطير فأصبحت ترى بي البيد القفار تراميا

ينبيء هذا المقطع عن حالة من التشتت وعدم الاستقرار يعانيتها الشاعر وقد صرح بها ضمن إطار طلبى يخرج الى الرجاء وهذا يعكس الحال التي انقلبت اليها حياته بشكل مفاجئ حيث " تكشف لنا الاستعارة في (اذني طعم الامن) دلالة المفقود، فقد جفت عيناه النوم بسبب خوفه من الحجاج وانهارت اعصابه وذهب عقله، فعانى من خوف مطبق وتشرذم مستمر، اذ استحالت حياته رعبا، فالشعر عنده أصبح حاجة، يعبر بها عن نفسه، ويستبطن ابياته دواخلها الحزينة واحاسيسها المذعورة" (دوابشة، صفحة ٣٥).

إن الفقد الأمني والمكاني اللذان يسيطران على الشاعر تجاه ما استحال مجهولا من متعلقات حياته وعلاقاته ومستقبله، شكلا فضاء مليئا بالهواجس والاضطرابات النفسية والرؤيوية إزاء كل الموجودات يرمز الى "إحساس الشاعر الدفين بالحياة المنطوية على الفناء وعوامل التدمير والتلاشي" (الجلبي آ، ٢٠٠٧، صفحة ٢١٠). ولذا نرصد هيمنة هاجس الخوف من مجاهيل الأماكن على شعره من خلال انتخاب مفرداته وايعاءات رموزه، "وقد جاءت الفاظه صدى قويا لمخاوف المطاردة التي تنذر بالقتل المتربص وعيرت في تضاعفها عن أصداء واضحة تفيض بإحساسات عميقة بالموت وقوى المخاطرة المحدقة" (الزير، ١٩٨٩، صفحة ٤٠٢). فنجده يعمد الى تردد مفردات (المطاردة والبحث عن المكان الامن) في محاولة لعكس مدى تسرب هذه المعاني الى دواخل نفسه، وهيمنتها على تفكيره. فالطراد وما يدور في فلكه ورد بشكل لافت للنظر، ويمكن تفسير ذلك بالتوجس من السلطان، وإمكانية ظفوره بشاعرنا في أي زمان ومكان، فضلا عن المجاهيل التي يمكن ان يواجهها ما سبب له هاجسا انفعاليا ترقيبيا، فكان من البديهي ان نشهد هذا التعلق بينم الشاعر والمفردات الدالة على التشرذم وعدم الاستقرار. ولا ينحصر التوجس عند حدود السلطان ورجالاته بل تعداه الى مجهول المكان غير الوطن الام. ما خلق لديه حالة يمكن وصفها بانها إحدى حالات " الاضطراب النفسي الذي يحمل الرجل على ان يكون حذرا الى اقصى درجات الحذر، خائفا الى اشد حالات الخوف، ولا بد ان تحمله هذه المشاعر على الابتعاد عن كل مظهر من مظاهر الحياة، لأنها أصبحت مرعبة بالنسبة اليه، مخيفة الى حد الموت وقد

للتخفيف عن ذاته المتأزمة فقد عمد الى تغيير واقعه الى الأفضل من خلال تهميش كل ما يدعو الى التوتر والخوف واثارة القلق داخله، من هذا المنطلق بدأ الشاعر يبث روح الطمأنينة في نفسه، ويسعى للتألف مع واقعه الجديد، وقد ظهرت تلك المعالجات جلية من خلال شعره، إذ يقول: (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٢٧):

وحالفت الوحوش وحالفتني      بقرب عهدودهن وبالبعاد  
وامسى الذئب يرصدني فحشا      لحنه ضريقي ولضعف آوي  
وغولا قفزة ذكر وانثى      كأن عليها قطع البجاد

تمكن الخوف من نفسه، واخذ منه مأخذا ونقله الى حالة اشبه بالمرضية، فقد "امتألت حياة عبيد بالكثير من الاضطرابات، لان الرجل اذا استوحش تمثل له الشئ الصغير في صورة الكبير، وارتاب وتفرق ذهنه، فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يسمع، ثم جعل ما تصور له من ذلك شعرا انشده، واحاديث توارثها وهذا ما حصل مع الشاعر لذلك فخوفه قد اشتد وتردده طال، وابتعد في الهرب، فتجسدت له الأشياء على غير حقيقتها، وسيطرت عليه ظاهرة الخوف سيطرة كاملة" (القيسي، ١٩٧٦، صفحة ١٩٧/١). وفي نوع من المعالجة الذاتية ظهر لهذا الخوف انعكاس مغاير تماما، وهذا الانعكاس بدأ يظهر في شعره بشكل واضح، فبدأ بتصوير الالفه بينه وبين المكان من خلال ادعاء التناغم الروحي بينه وبين موجودات المكان التي كانت تشكل هاجسا مرعبا له ومن تلك الموجودات الغول والسعلاة والوحوش الضارية. وقد اكثر من وصف الغول في شعره من ذلك قوله: (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٢٧):

فلله در الغول أي رفيقة      لصاحب قعر خائف يفتقر  
تغنت بلحن بعد لحن واوقدت      حوالي نيرانا تبسوح وتزهر  
انست بها لما بدت والفتها      وحتى دنت والله بالغيب ابصر  
فلمأ رأيت الا اهل وانتي      وقور إذا طار الجنان المطير

اذا تعاملنا مع الغول على انها الحيوان الخرافي الاكثر بشاعة والاكثر رعبا الذي يتحدث عنه الناس في حكاياتهم الشعبية فإننا نكون قد ذهبنا الى الاعتراف بوجودها، ولكن يمكن القول بان الغول هي رمز لمخاوف الشاعر وهو اجسه التي استحالت كابوسا لا يفتأ ينخر ذاته الخائفة. وان الشاعر يدعي

بلورت هذه الانفعالات المضطربة والاحاسيس المشتتة ظاهرة الخوف عند عبيد بلورة كاملة" (القيسي، ١٩٧٦، صفحة ١٩٧/١). وله في هذا المعنى الكثير من القصائد منها قوله (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٢٨):

لقد خفت حتى لو تمر حمامة      لقلت عدوا او طليعة معشر  
وخفت خليلي ذا الصفا وراهنسي      وقيل فلان او فلانة فاحذر  
فاصبحت كالوحشي يتبع ما خلا      ويترك مأنوس البلاد المدعثر  
إذا قيل خير، قلت: هذي خديعة      وان قيل شر قلت: حق فشمّر

إن الشخص المطارد يبدو "متوتر الاعصاب مضطربا، فالصوت الضعيف يزججه والحركة البسيطة تثيره. وهو يميل أحيانا الى تأويل ما يدور حوله تأويلات مزعجة" (فرويد، ١٩٨٩، صفحة ١٣). وهذا ما ظهر جليا في ابيات عبيد بن أيوب العنبري، ولا يمكن بحال من الاحوال عد القلق ظاهرة غريبة او فردية بل هو امر طبيعي يوجد مع الانسان تجاه ما يجهله او تجاه حالة سلبية، يتجسد داخل النفس الإنسانية، فالقلق ثيمة ملازمة للإنسان المطارد "متصل بحفظ البقاء والمخلوق الذي لا يخاف لا يمكن ان يبقى" (فرويد، ١٩٦٢، صفحة ٢٦)، فالخوف يخلق جوا من المتضادات النفسية تحفز سريرة الحذر ذلك ان "خوف الانسان هو امله في النجاة من أسباب المحن، وفي ذلك برهان ناصع على رغبته في البقاء" (دوايبشة، صفحة ٢٨).

وقد ذكر علماء العرب الخوف وفصلوا فيه، وجعلوا له انماطا ومصادر، ومنهم من جعل مصدرين للخوف: "احدهما معلوم صريح، والأخر مجهول غامض ينأى عن التعيين" (التوحيدي، صفحة ١٥١/١١). ولا بد من الإشارة الى ان ثيمة الخوف تكون على الأرجح من الأمور المجهولة "وربما يكون الخوف من المستقبل احد دوافع الخوف عند الانسان، لأنه يحمل مجاهيل عدة، وقد يحمل ما هو سيء او اسوأ، فالإنسان بطبعه يتبادر الى ذهنه السلبي قبل الإيجابي في حال حدوث او سماع امر ما، والخوف فعل غريزي ووقائي منشؤه تأثير خارجي" (طارق، ١٩٨٠، صفحة ١٠٥).

الحالة السلبية التي يعيشها الشاعر، متفاقمة ومعقدة، وقد اثرت بشكل سلبي على كل متعلقات حياته، وفي محاولة منه

خلال تصويره لذاته المتناغمة فهو صديق للغول، وند قوي للذئاب والسباع، وهاو للظلمة الفاتمة التي تخيم على الصحراء ليلا. كل هذه التعابير يمكن عدّها اسقاطات تعكس ما يخفيه من الم وخوف شديدين.

ولا يقتصر المجهول على المكان وموجوداته، بل يتعداه الى كل ما يورق الشاعر ويسلب تفكيره، ومن ابرز مخاوف الشاعر "الخوف من الموت، فهو يحس به ويواجهه في كل لحظة، ومما يزيد من غريبته انه سيموت بعيدا عن اهله ووطنه، وقد عبر عن ذلك بشكل دقيق" (دوابشة، صفحة ٢٨).

التأزم النفسي الذي يعيشه الشاعر دفع به الى الخروج عن النمط السائد للطبيعة الإنسانية، فالخروج عن المؤلف يشكل صورة من صور نبذ الواقع ومحاولة للهروب، فهو يجسد التناقض بين الانسان وواقعه المتردي بشكل التناقض يعتمد على قلب الوقائع حتى وصل به الامر "ان يشبه نفسه بالحيوان الوحشي لما يجمع بينهما من الابتعاد عن الأمكنة المأهولة والاستقرار في الأمكنة الخالية المهجورة" (الجلبي، ٢٠٠٧، ٢٠٠٧). يقول: (القيسي، ١٩٧٤م):

علام ترى ليلي تعذب بالمنى      اخا قفرة قد كاد بالغول يانس  
واضحى صديق الذئب بعد عداوة      وبغض وربته القفار الامالس  
تقدد عنه واستطار قبيصه      وقد يقطع الهندي والجفن دارس  
فليس وما يبدو لشيء نهاره      ولكننا ينباع والليل دامس  
فليس بجني فيعرف شكله      ولا انسي تحتويه المجالس

يذهب الشاعر في التهميش مذهبا ابعد مما وصفناه سابقا، فقد اتخذ عبيد الشعر "كمنقذ فاعل ومخلص اصيل، وليؤكد هويته المتحققة في عمق المشهد الذي يعمل على إثارتها وإثرائها وحضوره البهي المتألق في التجلي والرؤيا التي ينطلق منها شعره" (مبارك، ٢٠١٤، صفحة ٣٥٠) ففي هذا المقطع طفت على السطح محاولة هروب أعمق غورا من سابقاتها، ويتجلى ذلك في خلق صورة فريدة لذاته بنأى بها عن كل الموجودات فيصور نفسه على انه مخلوق فريد من نوعه له صفات مختلفة تماما عن الانس ولا تشبه الجن. وهذا انما يدل دلالة واضحة على شعوره بالاغتراب وفقدان الهوية. وهنا يوظف خياله الخصب في تصوير الأشياء المختلفة بصورة متقاربة

انه قد رافق الغول في محاولة لتهميش مخاوفه الأكثر رعبا وتجميل واقعه البشع الذي يضطر لمعايشته بكل تفاصيله فالقارئ لشعر عبيد يلحظ "ان الغول تلتزم ذهنية (العنبري) وتتسلط عليه، فهو يعتقد بوجودها، لذا ضخمها وقدم لها صورة محاطة بنسيج هلامي يكشف ما كان يثيره القلق لصعلوك يمتطي الليالي المظلمة بين الاكام والشعاب المقفرة التي تتجسد فيها المشاهد اشباحا مخفية مرعبة، وتختلط الاصداء في بؤرة سمعية غامضة، ورؤية بصرية متباعدة الارحاء ضبابية المعالم، حيث يشير الى انه لم يكن في وفاق دائم معها، بل انه لا يخافها ويواجهها مواجهة الند للند، مما يثبت شجاعته وقدراته الجسيمة القوية وانه قادر على مواجهة الشر والموت والهلاك المتجسد في صورة الغول" (الجلبي، ٢٠٠٧، صفحة ٧١).

وفي مشهد اخر يصف الشاعر انسه بالوحوش وشجاعته النادرة يقول (القيسي، ١٩٧٤م):

اراني وذئب القفر خدين بعدما      تداني كلانا يشمئز ويذعر  
اذا ما عوى جاويت سجع عوانه      بتزيم مخزون يموت وينشر  
تذللته حتى دننا والفته      امكنني لو اتني كنت اغدر  
ولكنني لم ياتني صاحب      فيرتاب بي مادام لا يتغير  
فله در الغول خير رفيقة      لصاحب قفر وخائف يتمتر

في هذا المشهد الشعري تتحقق انعطافة في معالجة الخوف المسيطر على الذات القلقة، اذ اتجه الى تصوير شدة الفته للمكان وموجوداته الصامتة والحية، وعبر عن ذلك بادعاءه مصاحبة وحوش الصحراء والانس بها ومخالطتها، ويمكن وصف هذا بـ(التهميش) فهو بادعاءه هذا يهشم خوفه ويعكس صورة مخالفة لشعوره الحقيقي، ذلك ان تهميش المخاوف ومحاولة تجاوزها يعد نوعا من الارتقاء بالذات الى مستوى تظهر فيه بصورة سوية وبشكل متناغم مع واقعها مندمجة معه. في محاولة لردع هاجس الغربة والقلق من المجهول والاحساس بالوحدة والتغلب على إحساس النبذ وخذلان الاصحاب ومحاولة الانتقال من حالة الى أخرى مغايرة تماما. ومن هنا فقد ذهب الشاعر في اتجاه مخالف تماما لما هو عليه عمد فيه الى اظهار بطولة وشجاعة في تحطى المجاهيل والتحديات والضغوط التي يتعرض لها من

حياة له بمخاطبتهم بعد الان وهذا ما شكل فجوة عميقة في ذاته، اذ ليس من السهولة بمكان ان يعيش الانسان وحيدا ليت التي سخرت مني ومن جملي ذاقت كما ذقت من خوف واسفار لقد خفت حتى خلت ان ليس ناظر الى احد غيري فكسدت اطير وليس فم الا بسري محدث وليس يد الا الي تشير

في سبيل التخلص من هذا الاحساس لجأ الى تهيمش الانسان، وزعم ان مصاحبة الغيلان والوحوش ارقى واجمل من مصاحبة الانس، فـ "ربما كانت الفة عبيد للحيوان بسبب الطمأنينة بديلا عن طمأنينته للإنسان، ولم يكن هذا ليحدث لولا الايمان بقضيه معينة تحفز ذهنه باستمرار، وهي ناتجة عن الإحساس بالذنب، لان الصعلوك بشكل عام كان يعتقد انه أثم، وقد ارتكب جرما، وهو لا يقاتل في سبيل الله، لان هذا مهم في فهم احساسه بالخوف وشعوره بالإثم، فقد كان اولو الامر يطلون عليه من داخله ويسيطرون على نفسه، لذلك عاش هذا الخوف، ومن الطبيعي ان يسيطر هذا المناخ على قصائده" (دوابشة، صفحة ٢٦).

لعل هاجس الخوف المهيم على ذهنية الشاعر شكل متلازمة أفضت مضجعه، فلم يجد غير التهيمش ملاذا له وضوءا في اخر النفق يبعث الطمأنينة في ذاته اللقطة، فوجد في التعبير عن صحبة الوحوش ومعاشرتهم صورة تعكس حرصه على إيجاد حصن مستقر لذاته المثقلة، وقد تجلى هذا الأثر في اسباغ طابع الشجاعة على علاقته بالوحوش والغيلان المرعبة والمفترسة، في اطار السعي الحثيث لإظهار الذات في صورة إيجابية، وإيهام السامع او القارئ بالغبلة والتمكن، وتعميم فكرة انه لا تهلكه الوحوش ولا ترعبه الغيلان وانه قادر على التكيف مع الحيوان اكثر من الانسان، في محاولة منه للتعبير عن ما" يثير حول شخصيته هالة من الرهبة، قد تجهض نواياهم في مطاردته وقتله" (اليوزبكي، ٢٠١٠، صفحة ٢٨٢) ويمكن ان نعد هذا نوعا من التهيمش، تهيمش الخوف من (الآخر) والتغلب عليه بشكل نابع من تضخيم (الانا) وتمجيد الذات.

قد يكون(الآخر) الانسان من وجهة نظر الشاعر أقسى واشد فتكا من الوحوش، لابل ان معاشرته الانسان أصعب واثقل من معاشرته الوحوش، والثقة بالإنسان اشبه

ومتوافقة من خلال عملية هدم وإعادة بناء وتشكيل بحيث تبدو الأشياء المختلفة متجانسة ومتشابهة الى حد بعيد. فالخيال" خلاق يذيب كل عنصر من عناصر الفكرة لإعطائها مذاقا جديدا" (حمدان، ٢٠٠٠، صفحة ١٦).

### ثانيا: تهيمش (الآخر):-

ان الوجود الإنساني لا يتحقق بعيدا عن الجماعة ف (الانا) تتفق مع (الآخر) في تشكيل هوية الواقع، وإن " الذات الإنسانية بوصفها نسجا من قيم ومعتقدات ومفاهيم واراء تتحقق فعليا عبر السلوك الذي يظهر في التعامل مع الآخرين" (الزبيدي، ٢٠١٣، صفحة ١٤٨) لعل من أكثر الأمور التي عانتها طبقة الشعراء الصعاليك في حياتهم هو النبذ والاقصاء، ولربما اقسى ما يلاقيه الانسان من مخاوف في حياته تتمثل بالوحدة وفقدان الهوية والانتماء الذي يشكل مطلبا ملحا " لأنه يكتسب منه مشروعية وجوده من خلال صورة الذات وإدراكها لتحديد مفهومها من اعماقها ورؤية الآخرين لها" (الداوود، ٢٠٠٧، صفحة ٨٦).

إن الاضطراب القسري لاتخاذ الفلوات والاكام ملجأ، وحيوانات الصحراء انيسا، قد شكلت معاناة ذات طابع خاص لعبيد، فهو ليس مطرودا ومنبوذا وفاقد للهوية فحسب، بل مطاردا ومطلوبا من السلطان ورجالاته، والاقسى من ذلك انه قد تعرض الى الخذلان من (الآخر)، فجأة وجد نفسه وحيدا مطاردا لا ملجأ ولا انيس يحتمي بهما مما يحيط به وبطوقه من اخطار. وقد تمثل هذا الخوف من البشر هاجسا مهيمنا على ذاته، وقد صرح به في شعره، يقول (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٣١):

لقد خفت حتى كل نجوى سمعتها أرى اتي من ذكرها سبيل  
وحتى لويت السر عن كل صاحب واخفيته من دون كل خليل

فالخائف المترقب يكابد صراع الذات في مواجهة قلقها الناتج عن تداعياتها المتعلقة بموقف الآخر منها، انه فضاء المعاناة الذي تستعيده الذاكرة الحية بصفة دائمة، والهروب المستمر من هاجس الوحدة المقيتة، ذلك الاحساس البغيض الذي ينخر ذاته، يقابله ذلك الامل الذي قدر له ان يبقى في حيز التمني، فيمعن في الهرب، ويجد في الابتعاد الذي يخال انه سبيل نجاة له، قد يؤس من الناس، وابقن ان لا

والغيلان الى ابعد مدى، فنصفهم الى ذكور واناث، وكأننا به في هذا المقام ينشيء بديلا للمجتمع الذي نبذه واقصاه، فيتحدث عن الغول الذكر والغول الانثى "على الرغم من ان المصادر السابقة تشير الى ان الغول انثى فالشاعر يخالف من سبقه في ذلك وكأنما يريد ان يثبت انه اكثر علما بهذا الحيوان لطول صحبته في الصحراء ولطول تشرذ الشاعر وابتعاده عن بني البشر" (الجلبي ا، ٢٠٠٧، صفحة ٧١). يقول (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٢٣):

وحالفت الوحوش وحالفتني      بقرب عهدهن وبالبعاد  
وامسى الذئب يرصدني محشا      لحنفة ضربتي ولضعف آدي  
وغـولـا قفـرة ذكـر وانثى      كأن عليها قطع البجاد

وفي خضم محاولاته اليانسة للتوافق مع عالمه الجديد والتواطن معه، تأخذ الذكريات الى عالمه الحقيقي، ويطفو على السطح حنين مشبع بالحزن والأسى على ما مضى. يقول (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٢٩):

كأن لم أقد -سبحانك الله- فتيه      لنُدفع ضيا او لوصل نواصله  
على علسيات كان هويها      هوي القطا الكدري نشت تماثله

حالة الحنين والفقد التي يعانيتها الشاعر يقابلها النبذ والخذلان وهذا يفسر "حالة الاضطراب النفسية التي عاشها الشاعر كان يحكمها بطابع الصراع وقد أسهمت حدة الصراع الداخلي في خلق عدم التوازن بين الشعور واللاشعور، فحبه للأرض وتعلقه بالوطن رغبات كان يعاني منها معاناة اليمية ويتحسس لواعجها بصمت رهيب، ويذكر تشوقه اليها ذكرا تصاحبه اللوعة ويخالطه الحرمان" (دوابشة، صفحة ٣٤). وفي محاولة منه لإخفاء هذا الحنين، ورسم صورة توافقية تجاه مجتمعه الجديد، وبالمقابل بث رسالة للمتلقي فحواها رفض المجتمع القديم وعلان الصراع معه، وعدم الاهتمام به، فقد بث في ثنايا شعره هذه المعاني، ويمكن عد هذا الاجراء نوعا من التهميش للحنين الى حزن الوطن ودفء الصحبة، ذلك انه "كان يخفي باطنا مبالاة عميقة وانه بادعائه الانس الى الوحشة انما كان يأنس (انسا مروعا)". (دوابشة، صفحة ٣٦).

تقول وقد الممت بالانس لمسة      مخضبة الأطراف خرس الخلاخل  
اهنا خليل الغول والذئب والذي      يهيم بريمات الحجال الكواهل

بالمستحيلة، ويمكن القول ان هذه الاسقاطات التي بثها الشاعر في نصوصه انما تعكس سلبية الذات الشاعرة تجاه المجتمع الذي رفضه. فهو يهيمش هذا الشعور من خلال مقابله بالرفض وكأننا به هو من هجر مجتمعه وليس العكس "فهو لشدة خوفه وهربه وبعده عن الناس وترك الفهم اصبح يألف الغول بدلا عنهم، فقد وجد عندها صحبة خيرة وصدافة كريمة، على الرغم من انها حيوان غادر وعابث فان حديث العنبري عنها له دلالة كبيرة في نفسه، وله اكثر من معنى في حياته الحافلة بالبؤس، المليئة بالصدر، المضطربة بأحاسيس التردد والترقب والحذر، وهو يعيش صراعا حادا يعتمل في نفسه اذ يعاني الغربة الحقيقية بين أبناء جنسه، غربة النفس وغربة الحياة وغربة الشعور بعدم التوافق، نراه يؤكد الصحبة الخالصة لهذا الحيوان وصدافته اللازمة له" (الجلبي ا، ٢٠٠٧، صفحة ٧٠).

بين الحين والآخر تستفيق (انا) الشاعر على واقعه المؤلم، فتعبر اناه المتعبة عن ذاتها بكل ما تحمله من أفكار ورؤى تعكس هذا الواقع الذي تلح على اظهاره بين الفينة والأخرى. يقول (القيسي، ١٩٧٤م، صفحة ١٢٩):

حملت عليه ما لو ان حمامة      تحمله طارت به في الجفاجف  
تطوعا واتساعا واشلاء مذهي      برا جسمه طول السرى في المخاوف  
فرحنا كما راحت قطة تنسورت      لازغب ملقى بين غير صفاف  
ترى الطير واليربوع يحشث وطاها      ويتقرن وطء المنسم المتقاذف  
كأني وآجال الظباء بقفرة      لنا نسب ترعاه أصبح دانيا  
الا يا ضياء الوحش لا شهرتي      واخفينني ان كنت فيكن خافيا  
أكلت عروق الشري معكن والتوى      بجلقي نور القفر حتى ورايا  
ومنهن قد لاقيت ذاك فلم أكن      جانا إذا هول الجبان اعترانيا  
اذقت المنايا بعضهن باسهمي      وقددن لحمي وامتشقن ردايا

تختلف انعكاسات الموقف من (الآخر) في وعي (الانا) بحسب تعلق الاخيرة بمن حولها إنسانيا، وبقدر انطباعاتها عن بواطن الأشياء على معطيات مظاهرها التي قد تحتل النقيض وتكسر افق توقع (الانا)، ومن هذا المنطلق فقد عمد الشاعر الى بناء مجتمع خاص به لا تواجه فيه اناه كسر افق توقعها، فاخترت الذهاب في مصاحبة الوحوش

## رأت خلق الادراس أشعث شاحبا على الجذب بساما كريم الشمائل

امعن عبيد بالتفرد والوحدة، وأصبحت حياته بين الاكام والشعاب ومرافقة الوحوش امرا مألوفا وبالمقابل اصبح شيئا فشيئا ابعد ما يكون عن بني جنسه، وقد ظهر هذا التحول جليا في شعره، فابتعد عن الجماعة والف الوحدة بل اصبح يستأنس بها، "لذا نجد شعره يبعد في هذا الحديث بمنطق الجماعة ليعزف في اطلاق (الانا) بدلا من ال (نحن) والاعراق من ثم في نقل الكوامن النفسية (الشخصية) او الحديث عنها بخصوصية تامة" (الجلبي ا، ٢٠٠٧، صفحة ٦٨).

كما انه يمعن في الهرب الى درجة انه " يلغي النهار من حياته، فلا يظهر فيه لشيء، ولا يزاول فيه شيئا، أما الليل ففيه كل حياته، وفيه كل نشاطه، حتى أصبح كأنه جني، لا يرى بالنهار، ولا يألف مجامع الناس، ومع ذلك فهو غير الجن فيما يصدر عنه" (حفي، ١٩٨٧، صفحة ٢٠٧). يقول (القيسي، ١٩٧٤، م، صفحة ١٢٩):

فليس بجني فيعرف رسمه ولا هو انسي تحويه المجالس

يظل ولا يدولثي نهاره ولكنه ينباع والليل دامس

ان من يعاني التشرذم وانعدام الانيس والهروب من القدر والابتعاد عن الاهل والدار انما يعيش على هامش الحياة، لا أهمية لحدث، ولا قيمة لشيء، حالة انعدام للقيم، لا حقوق ولا واجبات ولا صلوات، ذلك ان "الاحساس بالمطاردة إحساس غريب يبعد الانسان عن عالمه أحيانا من الوحش، وهذه تجربة مميزة جدا والتعبير عنها كذلك" (المجيد، ١٩٨٣، صفحة ٤٠٥). يقول (القيسي، ١٩٧٤، م، صفحة ١٣٠):

اخو قفرات حالف الجن واتمحي عن الانس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الانسي يعرف نجله وللجن منه خلقه وشمائله

وجريت قلبي فهو ماض مشيع قليل لخلان الصفراء غوائله

قليل رقاد العين تراك بلدة الى جوز أخرى لابن منازلها

في هذا المقطع تظهر ذات الشاعر المتأزمة بصورة مغايرة تماما لما تشعر به من بؤس وعناء، كما تتجلى سطوة الاغتراب والفة الوحوش، فالوصف الذي منحه الشاعر لذاته يظهر بوضوح الإحساس بالضيق وفقدان الهوية، فهو انسي

النسب جني الخلق والصفات، وبالانتقال الى البيت الذي يليه فانه يظهر انه قليل الاختلاط بالبشر لا يهوى الاقتراب منهم، ثم انه ترك بلاده واختار السكن في مكان اخر، وهنا يظهر التهميش بشكل واضح من خلال تركيزه على مواجهه عن طريق الالتفاف على الحقائق وإظهار الصورة المناقضة لها. ومن ثم يدعو الناس بالأعداء في قصيدة أخرى يقول (القيسي، ١٩٧٤، م، صفحة ١٢٨):

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا إيمانهم اني من ساكن النار

اني لاعلم اني سوف يتركني صعي رهينة ترب بين احجار

فردا برابية او وسط مقبرة سني على رياح البارح الناري

تمكن الياس منه واخذ منه الخذلان كل مأخذ، وقد منحه هذا الإحساس طاقة تصويرية وتعبيرية ظهرت من خلال توظيف مفردات دون غيرها انسجاما مع نمط التجربة وطبيعة الموقف ودرجة الانفعال والتأثر مشكلا لوحة شعرية توحى بالنهاية المحزنة الي صارت اليها حياته، مؤكدا انه لا ينتظر أية فرصة من الحياة ولم يحاول ان يتصالح مع ذاته او مجتمعه "بل ان سلوكه كان يخفي وراءه الاستهانة بالحياة والمغامرة الفتاكة المثيرة سخريه مريرة بالحرية الفردية وشعورا عميقا بالتمزق والتشرذم والضيق" (الشاطيء)، ١٩٧٠، م، صفحة ٤٣).

ان عبيد كغيره من الصعاليك قد لاقى اشد أنواع القسوة والخيبة، وعانى الخوف والقلق، وأحس مرارة الوحدة والنبذ والمطاردة، فلم تكن حياتهم سوية ولم ينعموا بالسلام والأمان "لذلك كان الحزن طاغيا على اشعارهم لعدم احساسهم بالانتماء الوجداني والفكري لهذا المكان اذ لم يكن في إمكانهم إقامة علاقة نفسية بينهم وبين الأرض الجديدة، في حين ان العلاقة النفسية ظلت قائمة ومتبادلة بينهم وبين الوطن الذي رحلوا عنه" (يسرية، ١٩٧٠، م، صفحة ١٠٣).

### الخاتمة:

من خلال دراسة المهمش في شعر عبيد بن أيوب العنبري خرجنا بنتائج مهمة من أبرزها:



## المراجع

- ١- ان هاجس المجهول قد تجسد بشكل واضح وجلي في شعر عبيد وقد صرح به الشاعر أكثر من مرة في شعره، وقد شكل هاجسا مسيطرا على ذهنه.
- ٢- ان من اهم الهواجس التي كانت تسيطر على ذهنية الشاعر، الاغتراب والتشرد فقد شكل شطرا كبيرا من حياته، فالمجاهيل تحيط به من جميع النواحي، حياته مستقبله مسكنه المخاطر التي تحيط به.
- ٣- الاحداث التي عصفت بالشاعر وقلبت حياته اثرت كثيرا على رؤيته للأمور، فقد تغيرت الثوابت وانعكست الأمور ففي الوقت الذي يانس بالذنب نراه يتطير من الحمامة، والحمامة منذ القدم ترمز للمحبة والسلام والوداعة، ولكنها أصبحت عنده رمزا للحزن وشريكة له في البكاء.
- ٤- وظف عبيد مفردات ذات مرجعيات خاصة في الذهنية العربية، فقد استحضر بعض المخلوقات الخرافية والغيبية مثل الغول والجن، وهي من المبهمات، واغلب الظن ان استحضارها كان نتاجا للغربة والمستقبل المبهم الذي شكل عنده هاجسا متلازما. في محاولة منه لخلق التوازن الذاتي.
- ٥- حاول عبيد التغلب على هواجسه من المجهول عن طريق الالتفاف عليها وتهميشها، وقد وظف خياله الخصب في استدعاء مخاوفه وادعاء إيجاد سلوك توافقي معها والتغلب عليها بل وبالغ في ذلك الى انسنة الوحوش به من مخاطر.
١. ابراهيم طارق. (١٩٨٠). *الدماع البشري*. بغداد: دار الحرية.
٢. ابو حيان التوحيدي. *بلا تاريخ*. الامتاع والمؤانسة. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
٣. ان تحسين الجليبي. (٢٠٠٧). *الجن والغول في شعر عبيد بن ايوب العنبري*. مجلة التربية والعلم (٤٤).
٤. أن تحسين الجليبي. (كانون الثاني، ٢٠٠٧). *بواعث الخوف في شعر عبيد بن ايوب العنبري*. مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية (١).
٥. جنان عبدالله الزبيدي. (٢٠١٣). *هاجس المجهول في الشعر العربي قبل الاسلام*. الموصل: كلية الاداب، جامعة الموصل، اطروحة دكتوراه.
٦. حبيب مؤنسي. (٢٠٠١). *فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية -دراسة-*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
٧. خالد جعفر مبارك. (٢٠١٤). *التشكيل البياني في شعر الصعاليك والفتاك حتى نهاية العصر الاموي*. ديالى: كلية التربية، جامعة ديالى، اطروحة دكتوراه.
٨. زراقت عبد المجيد. (١٩٨٣). *الشعر الاموي بين الفن والسلطان* (المجلد ١). بيروت: دار الباحث.
٩. سيجموند فرويد. (١٩٦٢). *القلق*. (محمد عثمان نجاتي، المترجمون) القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
١٠. سيجموند فرويد. (١٩٨٩). *الكف والعرض والقلق* (المجلد ٤). (محمد عثمان نجاتي، المترجمون) القاهرة: دار الشروق.
١١. شيماء ادريس الداؤود. (٢٠٠٧). *الانا والاخر في الشعر العربي عصر ما قبل الاسلام*. الموصل: كلية التربية، جامعة الموصل، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
١٢. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي). (١٩٧٠). *قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر*. مصر: دار المعارف.
١٣. عبد الحليم حفني. (١٩٨٧). *شعر الصعاليك منهجه وخصائصه*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤. عبد الحميد يسرية. (١٩٧٠). *شعر الصعاليك في العصر الاموي*. القاهرة: جامعة عين شمس، رسالة ماجستير .
١٥. فاطمة سعيد احمد حمدان. (٢٠٠٠). مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة. المملكة العربية السعودية: جامعة ام القرى، سلسلة الرسائل الموسى بنشرها رقم (٢٩).
١٦. محمد أحمد دوابشة. (بلا تاريخ). *الغربة النفسية في شعر عبيد بن ايوب العنبري*. مجلة الجامعة الامريكية للبحوث.
١٧. محمد حسن الزير. (١٩٨٩). *الحياة والموت في الشعر الاموي* (المجلد ١). الرياض: دار امية.
١٨. مؤيد صالح اليوزبكي. (٢٠١٠). *الرمز في الشعر العربي قبل الاسلام*. الموصل، العراق: دار ابن الاثير للطباعة والنشر.
- نوري حمودي القيسي. (١٩٧٤م). *عبيد بن ايوب العنبري، حياته وما بقي من شعره*. بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.
- نوري حمودي القيسي. (١٩٧٦). *شعراء امويون*. بغداد: ساعدت جامعة بغداد على طبعه.
- يوري لوتمان. (١٩٨٦). *مشكلة المكان الفني*. (ت: قاسم سيزا، المحرر) *الف باء*.